مملكة الخزر وأحوال المسلمين فيها دراسة في كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين حتى القرن الثامن للهجرة

أ . م . د. زمان عبيد وناس
قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصــة :-

الخزر هم أمة منسوبة في أصلها الى قبائل الترك الغربية القاطنة حوض الفولغا ، استطاعت بعد مدة وجيزة من ظهورها على مسرح الأحداث السياسية الدولية في أوائل القرن السابع للميلاد من تأسيس إمبراطورية كبيرة اشتملت أراضيها معظم بلاد القوقاز وحوض نهر الفولغا ، وضمت تحت سلطانها امم وشعوب وقبائل عدة ، تاريخيا أطلق عليها اسم ((مملكة الخزر اليهودية)) وقد بلغت هذه المملكة أقصى اتساع لها بحدود سنة 240هـ/850م ، مثل المسلمون فيها غالبية مؤثرة ، وهذا ما دفعنا إلى دراسة أحوالهم في فقرة من بحثنا هذا ، الذي حاولنا فيه إماطة اللثام عن جمل أخبارها وأحوالها التي يكتنفها شيء من الغموض وعدم الدقة في معرفة أوضاعها والمسلمين فيها ، ولان معظم ما جاء من أخبارها كان مصدرها الأساس المؤلفات العربية ، وخاصة الجغرافية وادب الرحلات منها ارتأينا ان تكون الدراسة فيها ، وصار بحثنا تحت عنوان ((مملكة الخزر واحوال المسلمين فيها دراسة في كتب الجغرافية والرحالة المسلمين حتى القرن الثامن للهجرة)) ومعيار توقفنا في البحث هو آخر ما ألفه المسلمون من كتب جغرافية وادب رحلات في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد وكانت طيات صفحاته تحمل ذكرا لمملكة الخزر .

Abstract :-

Khazars are the nation attributed in origin to the tribes of Turk Western dwelling Basin Volga, was able after a short period of its appearance on the scene of international political in the early seventh century AD to establish a large empire included territory most countries of the Caucasus and the River Volga, and included under the jurisdiction Nations, peoples, tribes, several historically called ((the Kingdom of the Khazars Judaism)) has reached this kingdom maximum breadth of its limits year 240 AH / 850 AD, such as Muslims in the majority of influential, and this is what led us to study their situation in a paragraph of our research this, we attempted to uncover the sentences news and conditions, which is shrouded in some mystery and lack of precision in the knowledge of their conditions and Muslims, and because most of what came from the news came from the base Arabic literature, especially the geographical and travel literature of which we decided to be a study, and became our search under the title of ((the Kingdom of the Khazars and the conditions of Muslims study in the books of geography and travelers until the eighth century Muslim immigration)) and we stopped in the search criterion is the last of the books written by Muslims and geographical literature flights in the eighth century of migration / fourth century AD and the folds of the pages carrying a male of the Kingdom of the Khazars.

المقدمــة :

الخزر هم أمة منسوبة في أصلها الى قبائل الترك الغربية القاطنة حوض الفولغا ، أسست بعد مدة وجيزة من ظهورها على مسرح الأحداث السياسية الدولية في أوائل القرن السابع للميلاد إمبراطورية كبيرة اشتملت أراضيها معظم بلاد القوقاز وحوض نهر الفولغا ، وضمت تحت سلطانها اممًا وشعوبا وقبائل عدة ، تاريخيا أطلق عليها اسم ((مملكة الخزر اليهودية)) .

وقد بلغت هذه المملكة أقصى اتساع لها بحدود سنة 240هـ/850م ، مثل المسلمون فيها غالبية مؤثرة ، وهذا ما دفعنا إلى دراسة أحوالهم في إحدى فقرات بحثنا هذا ، الذي حاولنا فيه إماطة اللثام عن جمل أخبارها وأحوالها التي يكتنفها شيء من الغموض وعدم الدقة في معرفة أوضاعها والمسلمين فيها ، ولان معظم ما جاء من أخبارها كان مصدرها الأساس المؤلفات العربية ، وخاصة الجغرافية وأدب الرحلات منها ارتأينا ان تكون الدراسة فيها ، وصار بحثنا تحت عنوان ((مملكة الخزر واحوال المسلمين فيها دراسة في كتب الجغرافية والرحالة المسلمين حتى القرن الثامن للهجرة)) ومعيار توقفنا في البحث هو آخر ما ألفه المسلمون من كتب جغرافية وادب رحلات في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد وكانت طيات صفحاته تحمل ذكرا لمملكة الخزر .

أ ـ قراءة في كتب الجغرافية والرحلات المسلمين :

لطالما اهتم الباحثون بدراسة تاريخ شعوب حوض نهر الفولغا والقوقاز ، ونحن إذا ما قلنا ان غالبية مراجع تاريخ تلك الأقوام قد دُونت باللغة العربية فاننا لا نجافي الحقيقة ، وان مصدرها الأساس كانت كتب الجغرافيين والرحلات العربية الإسلامية ، التي بلغت فيها الجغرافية العربية مرحلة من التطور تخطت فيه حدود الاهتمام بإطارها الجغرافي الإقليمي ، وإنما تعدتها إلى مستوى تدوين الجغرافية العالمية بأطر إقليمية ، فوزعت قارات العالم الوسيط لأقاليم سبعة ، وهي بذلك تخطت مستوى معارف الشعوب المتاخمة لدار الإسلام آنذاك ، وهذا ما دفع كراتشكوفسكي[1]للقول : ان البلاد الإسلامية شهدت بعد القرن العاشر للميلاد / الرابع للهجرة ، من الناحية السياسية عصر الاضمحلال النهائي للخلافة الإسلامية ، ولكن من ناحية أخرى يُعد أيضا عهد ازدهار الحضارة العربية أو النهضة الإسلامية ، إذ بلغ الأدب الجغرافي أوجه في مجال تطوره الخلاق كحركة مستقلة قائمة بذاتها ، وهو يزخر بمصنفات هامة في محيط الجغرافية الإقليمية ، غير ان الإنتاج الأدبي فيه لم يقف عند هذا الحد ، فقد تم في هذا القرن ايضا تشكيل ما يسمى بالمدرسة الكلاسيكية للجغرافية العربية ، كما شهد ايضا ميلاد أكثر آثار الكارتوغرافيا العربية أصالة ، وهو أطلس الإسلام .

ونحن في هذا الموضع لا نريد الغور في الحديث عن الجغرافية العربية الإسلامية ، قدر ما نصبو إليه من إظهار أثرها كونها مصدرا أساسيا لتاريخ شعوب شرق أوربا أجمع ، وهذا ما نوه له كراتشكوفسكي[2]عندما قال : ((والمهم بالنسبة لنا هو ان بعضهم جال في أصقاع اتحادنا السوفياتي ، أو الأصقاع المتاخمة لها)) ، لذا صار على كل باحث عربي أو مستشرق أن ينح صوب التراث العربي الإسلامي الجغرافي إذا ما أراد أن يتصدى بالبحث والدراسة لتاريخ تلك الشعوب ، وما يميز تلك المصادر حقا ، من كتبٍ جغرافية وأدب رحلات ، أنها كانت واسعة الاتصال وبطريقة مباشرة بأطياف مختلف طبقات الشعوب التي حلوا عليها من أرجاء المعمورة ، فرصدوا أنماط الحياة المختلفة ، من أحوال سياسية واقتصادية ، وطبائع شعوبها ، ومعتقداتها ،وعمرانها ،و كل ما له علاقة بمدنيتها، فكانت موسوعة حيوية تصور للباحثين أحوال أقوام الأصقاع التي جابوها .

ومن أجل ما ذكرنا آنفا ، فإننا أردنا دراسة مملكة الخزر وأحاول المسلمين فيها بالاعتماد على هذه المصادر (كتب الجغرافية والرحلات التي تطرقت للخزر وعموم بلاد القوقاز وحوض نهر الفولغا) محاولين تسليط الضوء على بقعة نائية عن ديار الإسلام ، وما زال الغموض يكتنفها .

ونحن عندما نقول باننا سوف ندرس أوضاع مملكة الخزر في كتب الجغرافية العربية ورحلاتهم ، لا نقصد فيها الإطلاق ، أي إننا نتحرى حتى تلك المفقودة ومتابعة نصوصها في صفحات المؤلفات الأُخر أو المخطوط منها ، وإنما المراد من ذلك هو البحث في المنشور منها فعلا والمتطرقة في ثناياها لبلدان شرق أوربا، متوقفين حتى مؤلفات القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد ، طلبا للإيجاز وعدم الإسهاب ، شريطةَ ان لا يؤثر على نوعية المعلومات المستقاة أو مستوى البحث العلمي ، أو ان يتجاهل بعض الحقائق الواردة عن تاريخ تلك المنطقة ، فالهدف هو تحقيق الفائدة بما يتوافر لنا من نصوصٍ تسهم في فهم أكثر لتاريخ مملكة الخزر وأحوال المسلمين فيها .

ونحن نتحدث عن مصادر بلاد الخزر وحوض نهر الفولغا والقوقاز من المؤلفات الجغرافية والرحلات ، يمكننا القول ان من بين أقدم تلك المؤلفات كتاب (الاعلاق النفيسة) لابن رسته (ت بحدود 300ه/912م) الذي قدم كشفاً عن قبائل شرق أوربا التركية البلغارية والسلافية والخزرية ، واشار الى بعض أحوالها[3]، يليه كتاب ابن خرداذبة (ت300ه/912م) (المسالك والممالك) الذي تبرز قيمته في ان قسمه الرئيس يشتمل وصف الطرق التي تربط بلاد الإسلام بعضها بالبعض الآخر مرة ، ومرة أخرى مع محيطها الخارجي في أصقاع الدنيا ، وأكثر ما يهم بالنسبة لنا في الموضوع هو وصفه للطريق الشمالي المار عبر أذربيجان[4]والقوقاز مرورا بالخزر فأوربا الغربية .[5]

وعلى شاكلة مدرسة المسالك والممالك العربية ، عمل قدامة بن جعفر (ت337هـ/948م) في الجزء الجغرافي من كتابه (الخراج وصناعة الكتابة) ، إذ وضع نصب عينيه في جزئه هذا وصف طرق بريد ممالك دار الإسلام ، ومقدار خرج كل منها ، وتاريخ فتوحها ، ومنها فتوح الإسلام في بلاد القوقاز[6]، وهو في ما يرويه يعتمد أساسا على البلاذري (ت279 هـ) في (فتوح البلدان)[7]، وعلى حد قول كراتشكوفسكي : فهو ، أي كتاب الخراج ، بمثابة تتمة لكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة في جزئه الجغرافي ، لانه يعتمد فيه اغلب الأحوال على وثائقٍ رسمية تعود لعهده[8]، ثم ابن الفقيه (ت340هـ/951م) الذي يورد في كتابه (مختصر كتاب البلدان) معلومات عن تركستان والقوقاز ، فضلا عن وصف لخط سير التجار اليهود من بلاد الروس ، وقد نقل ذلك عن ابن خرداذبة .[9]

واتفق مع القول الذي مفاده : ان المسعودي (ت346هـ/957م) يحتل المكانة الأولى بين أولئك الجغرافيين دون منازع ، أكثر الكتاب الجغرافيين أصالة في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد[10]، إذ أعطى وصفا حيا لجميع البلاد التي وقف عندها في رحلاته التي شملت أجزاءً من الهند إلى المحيط الأطلنطي ، ومن البحر الأحمر إلى بحر قزوين (الخزر) ، وابرز مؤلفاته التي أظهرت ملامح الخزر ، كتابه (أخبار الزمان) و (مروج الذهب) و(التنبيه والإشراف)[11] والأخير يعكس مادة جغرافية بالمعنى الصحيح .[12]

والمسعودي في كتبه الثلاثة يصف طبائع الأرض وأقاليمها السبعة ، وحدودها وما قيل في أحوالها ، وجميع البلدان وتضاريسها ، وأنهارها ، وملوكها ، وديانتها ، وجملا من أخبارها ، ومنها أمم الترك من البلغار ، والصقالبة[13]، وخزر القوقاز وحوض الفولغا .[14]

ومع ان مادة المسعودي تشمل ميداناً واسعاً في أدب الجغرافية الوصفية العربية الكلاسيكية ، كما تظهره مادته في مؤلفاته ، لكننا عرفناه في الأوساط التاريخية على أنه مؤرخا لا جغرافياً رحالة .

ولعل من برز في عصره ، أي المسعودي ، رحالةً ذاعت شهرته الآفاق ، بفضل وصفه لمنطقة نائية عن ديار الإسلام ، قلما يصلها الرحالة فيصفون أحوالها ، كما فعل ابن فضلان عندما نقل صورا حية عن أحوال الترك وشعوب القوقاز وحوض الفولغا وممالكها[15] في رحلته المشهورة التي بدأها سنة 309هـ/921م متوجها إلى بلاد البلغار ، ووصلها سنة 310هـ/922م ، وهو في طريق سيره لم يترك شاردة وواردة إلا وسجلها عن أقوام الترك في الأناضول والقوقاز وحوض الفولغا ، ودونها في رحلة عرفت في اوساطنا باسم رسالة ابن فضلان (في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة) واشتملت أوصافه ومشاهداته أتراك الأناضول ، وجورجيا(الكرج)[16]، والبنجاك[17] ، وصولا الى البلغار ، الذين يسميهم الصقالبة البلغار ، ثم الخزر والروس ، وبلاد البلجيك ، والدنمارك ، وربما وصل الى السويد ، وجميع أصقاع تلك الأرجاء التي كانت تمثل أطراف العالم المتمدن آنذاك .[18]

وأهم ما يميز هذه الرحلة انها تعد وثائق حقيقية تميط اللثام عن حياة أولئك الاقوام ، وصارت مصدرا أساساً لمن جاء بعده من المؤرخين والجغرافيين ، وما زالت الى اليوم هي شغل الباحثين ، وكل من أراد ان يعرف شيئاً عن أقوام القوقاز وحوض الفولغا .

وبعد ابن فضلان فإن مدرسة المسالك والممالك لم تنتهِ عند حدود ابن خرداذبة ، وانما ظهر الاصطخري (ت346هـ/957م) رائدا في هذا المجال ، الذي سار على هدى سابقه ابن خرداذبة ، وهو يعتمد بالدرجة الأساس على معلومات عالم معاصر له ، هو ابو زيد احمد بن سهل البلخي[19]، الذي صنف كتابا في حدود أقاليم الأرض لكنه لم يصل إلينا ، والاصطخري مثل غيره من أصحاب المسالك ، أظهر تركيزه على البلاد الإسلامية ، ومسالكها ، وأقاليمها ، وممالكها ، ويلي ذلك وصف لبعض أجزاء المعمورة ، فوصف أبعاد البحار ، ومنها بحر فارس ،والهند ،وأرمينية ،وأذربيجان ،وبحر الخزر ، وصقلية ،وبحر الروم ، وبلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن ،واللان ،والران ،والسرير[20]،والخزر ،والروس ،وبلغار ،والصقالبة ،وطائفة الترك ، فضلا عن مملكة الصين ، وهو بعد كل مملكة وإقليم يذكر مساحتها والمسافات بين أجزائها وأشهر مسالكها .[21]

ويلي الاصطخري معاصره ابن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م) صاحب كتاب (صورة الأرض) ، واصله من نصيبين من بلاد الجزيرة الفراتية ، عمل في التجارة ، فشغف بالاسفار ومعرفة البلدان منذ نعومة أظفاره ، ومما دعاه الى تقصي اخبارها وتدوين احوالها ، فكانت سببا في اخراج كتابه هذا ، وعنه أنه قال : ((وكان مما خصني على تأليفه وحثني على تصنيفه وجذبني الى رسمه ، أني لم أزل في حال الصبوة شغفا بقراءة كتب المسالك متطلعا الى كيفية البين بين الممالك في السيَّر والحقائق ، وتباينهم في المذاهب والطرائق ، وكمية وقوع ذلك في الهمم ، والرسوم والمعارف والعلوم والخصوص والعلوم وترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة ، والتواليف الشريفة الموصوفة ، فلم أقرأ في المسالك كتبا مقنعا ، وما رأيت فيها رسما متبعا ، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب واستنطاقي فيه وجوها من القول والخطاب ، وأعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق والأثر ...))[22]، فبعد انطلاقه من بغداد سنة 331هـ/942م زار بلاد الشمال الأفريقي والأندلس ، ونابلي وبالرمو في ايطاليا ، فضلا عن خبراته في البلاد العراقية والشامية والحجازية ، وبعض أجزاء الهند ، وأكثر ما يفيد البحث انه كتب عن أحوال الترك وما يتصل بها من بلاد القوقاز ، فأشار إلى بلاد السرير ،والبلغار ،والصقالبة ،والخزر ،والروس .[23]

ويمكن للمتتبع ان يقول ان ابن حوقل سار في منهجه قريبا من منهج أصحاب المسالك .

ومن الممثلين الكبار لمدرسة المسالك الكلاسيكية المقدسي ، محمد بن احمد بن أبي بكر (ت380هـ/990م) الذي افرد فصلا خاصا من كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) تحدث فيه عن طبائع شعوب الفولغا والقوقاز (السهوب الروسية) ومسالكهم ، واقتضب في ذكرهم ، وأطلق على أجزاء منه ، إقليم الرحاب ، ذكر فيه أخبار اللان، والران ،واذربيجان ،والخزر ،والروس .[24]

وفي آخر القرن الرابع للهجرة ظهر كتاب (حدود العالم) لمؤلف مجهول ، كُتب بحدود سنة (372هـ/982م) ، وفيه أخبار عن الخزر وعموم أقاليم القوقاز والسهوب الروسية ، وقد استفاد من معلومات ابن خرداذبة ، وابن رسته ، وابن فضلان ، والاصطخري .[25]

وكان كتاب البيروني (ت440هـ/1048م) الموسوم (الاثار الباقية عن القرون الخالية) أثر فريد في باب لا مثيل له في الأدب الجغرافي العربي ، الذي مزج فيه الجغرافية بالجانب الرياضي والفلكي ، والبيروني ذو ثقافة علمية ثرة أقل ما يُقال فيها وصف كراتشكوفسكي[26] له قائلا : ((لا نملك إزاء هذا إلا الانحناء في خشوع واحترام أمام النتائج العلمية الباهرة التي توصل اليها ، والتراث العلمي الحافل الذي أنتجه في ظروف الزمان الذي عاش فيه)) ، والبيروني الخوارزمي الأصل يميل الى الإيجاز في الوصف مع دقة المعلومات ، فهو لا يقبل كل ما يقرأه من سابقيه بل يمحصه ويناقشه ،خاصة عندما يكون الحديث عن بلدان نائية كأمة الخزر والبلغار وما دنا منها ، وعلى الرغم من قولنا انه يميل إلى الإيجاز في أخباره ، ألا أن معلوماته مفيدة جدا .[27]

وفي أواسط القرن السادس للهجرة ، كان الزهري (ت اواسط القرن 6هـ/12م) وكتابه الموسوم (الجغرافيا) وضمنه أخبارا عن شرق اوربا (القوقاز وحوض الفولغا والسهوب الروسية) فذكر الترك والخزر[28]، أما الادريسي (ت560هـ/1164م) صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) فهو جغرافي رحالة ، ضمن كتابه معلومات وافرة ذوات قيمة عالية عن أحوال أوربا في العصور الوسطى ، إذ زار بنفسه لشبونة ،وسواحل فرنسا ،وانكلترا ،وصقلية ، وزار كذلك بعض بلدان آسيا الصغرى وشمال أفريقيا ، وعلى العموم فوصفه بجملته شمل أوربا الغربية والشرقية (فرنسا ، والمانيا ،واسكتلندة ، وارلندة ،وسواحل بحر الشمال ، و بلاد البلطيق وروسيا وأقاليم القوقاز وحوض الفولغا) .[29]

ومعلوماته عن بلاد الخزر مهمة ، لاسيما تلك المتعلقة بطبيعة شعوب المنطقة الاثنية ، ولا تقل عنها أهمية رحلة أبي حامد الغرناطي (ت565هـ/1169م) الموسومة (تحفة الألباب) فهي مصدرٌ هامُ عن أقاليم الشرق الأوربي ، لأنه زار تلك

الأصقاع فعلا ، وكتب أخبارها عن كثب ، فوصف أحوالها في أواسط القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد ، فبعد سنة 525هـ/1131م عبر الغرناطي بحر الخزر ووصل إلى مصب نهر الفولغا ، وفي سنة 530هـ/1135م كان مستقرا بأرض البلغار[30]، يقول كراتشكوفسكي[31]: من المحتمل انه وصل إلى هنكاريا سنة 545هـ/1150م ، وكان له فيها منزل ، واستمر إلى ان عاد إلى بغداد سنة 555هـ ، وفي الموصل سنة 557هـ ، ثم عبر الى دمشق وتوفي فيها سنة 565هـ/1169م .

ومن الكتب المرموقة التي كتبها العرب في مضمار الجغرافية العالمية في أواسط القرن السادس للهجرة ، موسوعة اثنوغرافية قيمة جدا ومتنوعة بصورة فريدة ، تلك هي (طبائع الحيوان) لشرف الدين المروزي (ت ق 6هـ/12م) كتبها بحدود سنة 514هـ/1118م ، لكن للاسف لم تصل منها سوى قطعة نشرها مينورسكي وطبعت سنة 1942م تحت عنوان (ابواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان) وفيها ابواب عن اقوام الترك البلغار والصقالبة والروس والخزر ، وهي تمس مكونات تلك الشعوب وعاداتها ومعتقداتها ومسالك ممالكها .[32]

أما أشهر معجم جغرافي ظهر في العالم الاسلامي مثل باكورة العمل الجغرافي العربي هو معجم ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) ، ((وأهمية معجم ياقوت تجاوزت بكثير حدود الأهداف الجغرافية الضيقة))[33]، فهو بمثابة مرجع عام يجمع المادة الجغرافية العربية المعروفة في عصره ، أي أن مصادره الأساسية هي جميع تلك المصنفات والرحلات التي ظهرت من قبل في العالم الاسلامي ، وأكثر مصادره اعتمادا فيما يخص بلاد الترك والبلغار والخزر ، رحلة ابن فضلان ، وتحفة الالباب للغرناطي ما رواه سلام[34] الترجمان[35] ، وهناك جغرافي آخر لمع اسمه في الحقبة التتار التي تلت سقوط بغداد سنة 656هـ/1258م ، ذاك هو زكريا بن محمد القزويني (ت682هـ/1283م) وله كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) و (آثار البلاد وأخبار العباد) وفي المؤلفين كليهما إشارة لبلاد الخزر ، لكن المؤلف الثاني تضمن معلومات أكثر من سابقه ، إذ اشتمل على معلومات هامة .[36]

ولشيخ الربوة الدمشقي (ت727هـ/1326م) كتاب موسوم (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) اشتمل على أخبار الترك وبلدانهم وأقوام الخزر وبعض شؤونها ، وما يخص الخزر فان غالبيتها مستقاة من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي ، والكامل في التاريخ لابن الأثير[37]، ومنها كذا كتاب أبو الفدا (ت732هـ/1331م) (تقويم البلدان)[38]، وكتاب البغدادي (ت739هـ/1338م) وهو مختصر لمعجم البلدان موسوم (مراصد الاطلاع)[39]، وكتاب ابن الوردي (ت749هـ/1348م) (خريدة العجائب وفريدة الغرائب)[40]، وابن فضل الله العمري (ت749هـ/1348م) صاحب موسوعة (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) التي خصص جزأيها الأول والثاني في الحديث عن أخبار البلدان ومواقع مدن المعمورة ، ومنها بلاد الخزر ، ولمدينة أتل وسمندر وبلنجر وخمليخ خبر فيه .[41]

وبعد قراءتنا لنصوص الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين المتعلقة بمملكة الخزر والأقوام الخاضعة لها في القوقاز وحوض الفولغا ، صار بمقدورنا رسم صورة عن أخبار تلكم المملكة وأحوال أقوامها ، ونخص بالذكر المسلمين منهم ، بالقدر الذي تتيحه تلك النصوص .

ب ـ مملكة الخز في كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين :

سبق وان قلنا ان مؤلفات الجغرافيين الرحالة المسلمين هي مصدر دراسة تاريخ مملكة الخزر ، وأنها تعرضت لذكر أوضاعها العامة وأحوال المسلمين فيها ، وبالاعتماد على ما تحصلنا عليه نبدأ بحدود مملكة الخزر وجغرافيتها ، وعنوان فقرتنا التالية هي :

ـ مملكة الخزر الحدود والجغرافية :

أختلف جغرافيو العرب بعض الشيء في تحديد موقع مملكة الخزر بالنسبة لأقاليم الأرض السبعة ، فبينما يضعها ابن الفقيه[42]في الإقليم الخامس مع رومية وقسطنطينية ، وضعها ابن رسته ،والمقدسي ،وشيخ الربوة الدمشقي في الإقليم السادس[43]، وقال شيخ الربوة الدمشقي[44]واصفا حدود الاقليم : ((وابتداؤه من الشرق مساكن الترك المشارقة ، وهم الخرجيز ،والقرقر ،والكمياك ،والتغزغز ، ويمر على البلغار المسلمين وبلاد الخزر من شمال بحرهم ، وارض اللان والسرير وارض جرجان والكرج)) .

ولأن حدود مملكة الخزر اشتملت على أصقاع واسعة ، وهي من أطرافها بين اتساع وانقباض ، تبعا لقوتها وأحوالها السياسية على مر الأزمان ، صار هذا الاختلاف أمراً واقعاً ، كما ان دقة الوصف الجغرافي لا يمكن ان نتوقعها (بالمعنى الذي نفهمه اليوم) عن جغرافيين عاشوا في القرون الوسطى .

فحدود مملكة الخزر التي رسمها جغرافيو البلاد الإسلامية هي تعود للقرون المحصورة بين الثاني والرابع للهجرة / الثامن والعاشر للميلاد ، أما ما تلاه من وصف فيُعتمد على النقل من السابقين[45]، لان حدود الخزر بدأت بالانحسار في أواسط القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد ، أمام قوة مملكة الروس القوية .[46]

ويشير الاصطخري[47]إلى حدود الخزر بالقول: ((وهو بلد بين بحر الخزر والسرير والروس والغزية)) ، فالى الشرق منها طبرستان ،وجرجان ، والمفازة التي بين جرجان وخوارزم ، وجنوبها باب الابواب (دربند) وبحر الخزر ، وغربها حدود بيزنطة ، والى الشمال منها بلاد البلغار والروس[48]، ويحددها صاحب كتاب حدود العالم[49]قائلا : ((شرقيها الحائط الذي بين الجبل والبحر [يُريد بحر الخزر] ثم جزء من نهر آتل وجنوبيها بلاد السرير ، وغربيها جبل ، وشمالها براذاس ونندر)) ، والخزر بوصف الحميري[50]هي ((بلاد عريضة)) .

ويفهم من النصوص المتقدمة ، أن مملكة الخزر تمتد في مساحة شاسعة قامت بين مجرى نهر الفولغا (آتل) الأدنى والسفوح الشمالية لجبال القوقاز ، من مجرى بحر آزوف حتى بحر قزوين (الخزر) ، بل امتدت لتصل الى غربي مدينة كييف

وسط الدينبر ، وجنوبها أيضا حدتها البلاد الخوارزمية ، وآخر معاقلها من هذه الجهة مدينة باب الابواب (دربند) التجارية ، وهي الرابط الذي يربط مملكة الخزر بالعالم الاسلامي عن طريق خوارزم وبلاد فارس .[51]

ـ أصل الشعوب الخزرية وطوائفهم الدينية :

إن الخزر على وفق المسعودي يرجعون في أصلهم البعيد إلى يافث بن نوح ، أي أنهم من ولد خزر بن يافث بن نوح[52]، وهم يلتقون مع الترك والصقالبة والروس مع يافث ، غير ان الغالبية من الجغرافيين والرحالة العرب يقولون ان الخزر هو اسم الإقليم وهم ينتسبون إليه .[53]

وعلى الرغم من ذلك اشارت تلك المصادر إلى أن أمة الخزر تنتمي في أصلها إلى أمم الأتراك[54]، المنتشرة في المنطقة المحصورة بين حدود الجزيرة الفراتية والقوقاز من جهة ، ومفازات التبت وخوارزم وأذربيجان من جهة ، وحوض الفولغا والسهوب الروسية من جهة اخرى ، وعلى الرغم من ذلك أيضا ان تلك المصادر لم تحدد من أي أمم الترك هم (الخرلخية ،الخرجزية ،الكيمياكية ،الغزية ، والبنجاكية ، والطغزغزية ، والخلخية ، والقلجية ، والغورية ، فضلا عن القامانية والتركشية والازكشية)[55]، لكن شيخ الربوة الدمشقي[56] أشار إلى ان البعض يقول أنهم من ترك الكرج (جورجيا) ، لكنه لا يوافقهم الرأي ويقول : ((هم من الأرمن ويدينون بالنصرانية ، ولهم أربع مدن ، خمليخ ، بلنجر ، وسمندر ، وآتل)) .

واعتمادا على بحوث اهتمت بدراسة أصل الشعب الخزري نقول : ان الخزر شعب مجهول الاصل ، فهم ليسوا من الكرج أو الأرمن أو حتى قبائل دولة الهون (وهم قبائل الترك الغربية) أو الأصل الايغوري ، حتى تلك البحوث عندما تصدت بالدراسة لأصل الخزر ، وقالت ربما أنها تعود الى الايغوري او الهون ، ما لبثت ان أقرت حقيقة مفادها أنهم شعب من ذوي الاصول المجهولة ، بعدما ناقشت آراء كل علماء الأجناس كلهم المهتمين بدراسة قبائل الخزر .[57]

وبعيدا عن مناقشة آراء الباحثين المحدثين في أصل الخزر ، والتزاما بمحاور بحثنا نقول : ان الخزر على وفق مصادرنا الإسلامية (الجغرافية وأدب الرحلات) هم أمة تخالطت مع الترك المنتشرة في القوقاز وحوض الفولغا ، وهم على حد قول الاصطخري[58]: ((الخزر لا يشبهون الأتراك ، وهم سود الشعر ، وهم صنفان ، صنف يسمون قرا خزر ، وهم سمر يضربون لشدة السمر إلى السواد كأنهم صنف من الهنود ، وصنف بيض ظاهروا الحسن والجمال)) ، ولسانهم غير لسان الترك والفرس ، ولهم لغة لا تشاركهم لغة من لغات الأمم .[59]

أما معتقدهم ، فهم مسلمون ،ويهود ،ونصارى ،وعبدة الأوثان ، وأكثرهم المسلمون ، وأقل الفرق اليهود على دين ملكهم[60]، الذي كان وثنيا حتى عهد قريب من القرن الثاني للهجرة ، لأن الوثنية متأصلة فيهم منذ القدم ، وإنما تهودوا زمن هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) عندما أمر صاحب قسطنطينية بطرد اليهود من بلاده فأجلاهم ، وقصدوا مملكة الخزر فوجدوا خاصة الملك وبعض قومه على الوثنية ، فعرضوا عليهم دينهم فتهود الملك وخاصته[61]، أما النصرانية فكان انتشارها بفعل صاحب قسطنطينية وحملاته التبشيرية .

ويعود انتشار الإسلام فيهم إلى زمن الفتوح الإسلامية ، عصر الخلافة الراشدة (11- 40هـ/632-660م) ، قبل أن يتهود ملكهم بزمن ، وسنأتي على تفصيل خبر ذلك لاحقاً .

3 ـ نظم الحكم والإدارة في الخزر :

ان المتوافر من نصوص (في كتب الجغرافية والرحلة) لا يعطي صورة متكاملة عن طبيعة نظم الحكم في البلاد وطريقة إدارتها وكيفيتها بالمعنى الواضح ، أو حتى رسوم تولية مساعدين الملك ومهام كل شخص منهم بحسب منزلة وظيفته وواجباته المناطة به ، سوى ان للخزر ملك يسمونه (الخاقان الكبير) ، والخاقانية القاب الملوكية لديهم[62]، وليس لهذا الخاقان أو الملك ان يحكم البلاد ، أو يسيسُها أو ان يرى بعض أمورها ، إنما له الهيبة فقط والاحترام ورسم الملوكية ، فهو قابع في قصره المبني من الآجر في الجزء الغربي من العاصمة (آتل) ، لا يخرج لرعاياه إلا كل أربعة اشهر متنزها وبين يديه فرسانه وسائر الجيوش ، وحين يمر ويراه العامة خروا له ساجدين لا يرفعون رؤوسهم حتى يجوزهم[63]، ومدة حكمه فيهم أربعين من الأعوام في أقصاها ، فإن جاوزها يوم واحد قتلوه وقالوا : ((هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه))[64]، والخاقانية عندهم لأهل بيت معروف لا تكون إلا فيهم .[65]

وأما رسم الحكم فيهم وتدبير أمر مملكتهم ، فتكون لنائبه ، ويدعى بلسانهم (خاقان به) ، فهو من يسيس البلاد ، وله تذعن الملوك الذين يدينون للخزر بالطاعة ، ويقود الجيوش ويُظهر الغزو ، ومن أمره أن يدخل على الملك الخاقان كل يوم وهو متذلل حافي القدمين حاسر الرأس ، فيجلس مع الملك على سريره من يمينه ، وخلفه يأتي رجل من معاونيه يقال له (كندر خاقان) وهو أقل منه منصبا ، ويليه رجل يقال له (جاو شغير) وهو أقل منصبا من الأخير .[66]

فترتيب حكمهم على طريقتهم هو إن الخاقان الكبير ليس له إلا الهيبة والخضوع والتعظيم ، ثم خاقان به ، وله سياسة البلاد والنظر بأمر العباد ، فكل شيء راجع إليه ، ونائبه كندر خاقان وجاو شغير ، ولا يعرف تماما وظيفة هؤلاء ، وما حدود مناصبهم الإدارية ومهامهم ، أما مراسيم تولية النائب ومعاونيه وكيفية اختيارهم ، فلا خبر عنها .

وللخاقان كبيرهم سبعة حكام آخرون ، يفصلون بين الناس كل على دينه ، فللمسلمين حاكم مسلم منهم ، والنصرانيين حاكم نصراني منهم ،وللوثنيين حاكم وثني منهم ، واليهود كذلك ، وهؤلاء من يفصل بين الناس ، ولا يصل أهل الحوائج الى الملك وانما يصل هؤلاء ، وبين الأخيرين والملك سفير يراسلونه فيما جرى ويطلعونه على ما يكون منهم ، فيرد عليهم أمره عند ذلك بما يعملون عليه .[67]

4ـ أحوال مملكة الخزر وأشهر مدنها :

تنتمي مملكة الخزر الى ظروف مناخية قاسية وتضاريس صخرية وعرة[68]، حددت واردات البلاد وألزمت سكانها بنشاطات أقتصادية معينة ، فأرزاقهم بين زرع وتجارة ، إلا الوثنيين فيهم ، فهم يمارسون النخاسة ويحللون بيع ابنائهم[69]، فمن شأنهم في زراعتهم ان يخرجوا صيفا خارج مدنهم فيحقلون ويزرعون ، وعند نضج زرعهم يحصدونه ويجلبونه الى مدنهم أما بالعَجل أو النهر ، وزرعهم أكثره الحبوب والرز ، ومنه طعامهم فضلا عن السمك ، وليس لهم في الصناعة شيء يذكر بمقارنتهم مع بلاد الإسلام أو رومية ، سوى دباغة جلود ثعالب الخزر والسنجاب[70]، وصناعة الدروع البياض والمغفر والأسنة ، وكان السيف الخزري معروف في التجارة .[71]

وما يأتي البلاد غير ذلك من مأكل وملبس وصناعة فإنما مجلوب اليها[72]، وأكثر لباسهم القراطق (وهي القباء ذو الطاق الواحد) والأقبية ، وليس عندهم شيء من الملبوس ، وإنما يحمل اليهم من نواحي جرجان وطبرستان وأرمينية وأذربيجان والروم[73]، وأبنية عامتهم من طين وخشب ، والبناء بالآجر لا يكون إلا للملك .[74]

ورزق الخزر معقود على التجارة ، فأبرز مدنها أنما اشتهرت وعرفتها الناس بفضل موقعها على خطوط النقل الدولية التي تربط الشرق بالغرب ، فصارت محطات تجميع البضائع وانطلاقها من جديد نحو البلدان ، فتمر بها تجارة الصين ،والهند ،وخوارزم ،وفارس ،وجزيرة العرب عن طريق أرمينية متجهة نحو رومية وشمال حوض الفولغا الى الروس ومنها الى غرب أوربا وبالعكس ، فمارست مدنها دور الوسيط في التجارة العالمية .

ومن جراء ذلك يفيد الملك ، فأكثر واردات خزانته من عشور التجارة ، يقول الاصطخري[75]: ((وأبواب مال هذا الملك من الأرصاد وعشور التجارات)) .

ورسم بيعهم في الاتجار وتبادل السلع يكون أما بالنقد ولهم من الرصاص عملة ، او المبادلة سلعة بسلعة (مقايضة) أو بعمل تجار الأمم المعروفة[76]، أو باستعمال الدلق ، والدلق هو الجلد المدبوغ ، وكان استخدامه شائعاً في بلاد الخزر والبلغار والصقالبة ، وقال ابن رسته[77]: إن أكثر أموال أهل برطاس (وهي بلد بين الخزر وبلغار) الدلق ، وفي رسالة ابن فضلان اشارة لذلك ، اذ قال : وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤديها الى ملك الخزر من كل بيت جلد سمور .[78]

ومن أشهر مدن هذه المملكة هي :-

أ ـ آتل :

آتل حاضرة البلاد ، تقع على نهر آتل (الفولغا) قرب شمال استرخان الحالية ، ويشقها نهرها الى نصفين غربي وشرقي ، الغربي منها مدينة الملك ، والشرقي منها تسكنه العامة[79]، يسمي ابن رسته[80]جزءها الغربي (سارعشن) والشرقي (هب نلع أو حسلع) ، أما المروزي[81] ،فيقول : أن أسم الغربية (سارعسن) والشرقية منها يقال لها (حسلع) ، وسارعسن هي المدينة البيضاء التي يذكرها ابن خرداذبة .[82]

ويربط هذين الجزأين جسر يمر عليه العامة مبني من مراكب ، وآتل مدينة كبيرة فيها اسواق وحمامات ، وسوقها عامرة يُباع فيها أنواع المتاع وأكثره النفيس ويقصدها التجار المسلمون والبلغار والصقالبة والروس .[83]

ب ـ سمندر :

سمندر من مدن الخزر الهامة في حوض الفولغا (آتل)، وتقع على شاطئه ، بناها انو شروان بن قباذ (كسرى بلاد فارس من الاسرة الساسانية حكم بين عامي 531-589م)، وهي كبيرة عامرة كانت في ما سبق الفتح العربي عاصمة الخزر ، فلما فتحها سليمان بن ربيعة الباهلي ، انتقلت عنها الخزر الى آتل ، وهي ذات بساتين وأراضين عامرة ، أكثر زرعها الكرم ، وقومها من المسلمين والنصارى .[84]

ج ـ بلنجر :

بلنجر من المدن التجارية المرموقة ، موقعها على نهر بلنجر ، خلف باب الابواب (دربند) بناها انيشروان[85]، وهي من أوائل المدن التي فتحها المسلمون من بلاد القوقاز ، فتعرضت لجيوشهم في العصرين الراشدي والأموي (41-132هـ/661-749م) ، وعند نمو صلات العرب المسلمين مع الخزر تجاريا في القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد ، أصبح لها أثر كبير في عملية التبادل التجاري وصارت ممراً للبضائع القادمة نحو أوربا من الشرق الإسلامي .[86]

دـ سقسين :

لا تختلف سقسين عن بقية مدن مملكة الخزر المذكورة ، إذ كانت هي الأخرى من مدن التجارة المعروفة ، فضلا عن أنها مدينة ذات انهار وأشجار وخيرات كثيرة ، فأسواقها عامرة بمختلف البضائع ، والقوافل لها قادمة من بلاد جرجان ،وأرمينية ،والصقالبة ،والروس ، وفيها من أصناف التجار المسلمين المشارقة والمغاربة ، وكذا الترك والبلغار والصقالبة وغيرهم من الروس والروم .[87]

يقول القزويني[88]: ((وفي المدينة من الغرباء والتجار ما لا يحصى عددهم)) ، ومعاملات أهلها في البيع والشراء على الرصاص كل ثلاثة أمنان بغدادي[89]بدينار ، ويشرون بها ما شاءوا ، والخبز واللحم عندهم رخيص ، تباع الشاة بنصف دانق[90] .[91]

ه ـ خمليخ :

خمليخ مدينة مهمة من مدن مملكة الخزر ذكرها ابن خرداذبة[92]، وصاحب كتاب حدود العالم[93]، وقال ياقوت الحموي[94]: ((مدينة ببلاد الخزر)) ، وذكرها شيخ الربوة الدمشقي[95]من جملة مدن الخزر التجارية الهامة .

و- باب الأبواب (دربند) :

دربند أو باب الابواب كما يسميها العرب مدينة عظيمة على بحر الخزر في وسطها مرسى للسفن ، على ذلك المرسى من الخارج بناءان كالسدين من جانبيه ، وهناك سلسلة تمنع الداخل والخارج إلا بأمر صاحب البحر ، وهذان السدان من الصخر المحكم ، أُفرغ بينه الرصاص ، وهي مدينة كبيرة بساتينها كثيرة ، ألا أن ثمارها قليلة ، وأكثر ما في أسواقها إنما مجلوب إليها .[96]

وأهم طرق التجارة التي عبرت مملكة الخزر هي :

الطريق الاول : ويتجه من آتل عند مصب نهر الفولغا (نهر آتل) نحو شماله صعودا حتى يتفرع منه خط يتجه الى نهر كاما (في روسيا) ومناطق الأورال (تمتد من روسيا الى كازخستان)، أما الطريق الرئيس فيظل متجها نحو أعالي الفولغا وبحيرة لادوغا (شمال غرب روسيا قرب فلندة) وخليج فلندة ليصل الى اسكندنافيا .

الطريق الثاني : ويربط بين بيزنطة وخليج فلندة واتجاهه من الجنوب الى الشمال ، وأهم أجزائه نهر الدنيبر (منبعه من مرتفعات فالادي في روسيا ويتجه صوب اوكرانيا اذ يصب بالبحر الاسود) ، ويسير هذا الطريق بعد نهر الدنيبر نحو لوفات (Lovat) ، فالى بحيرة ايلمن ثم تسلك طريق فلكوف (Volkov) حتى يلتقي بحيرة لادوغا ، ومن هناك يكون التوجه نحو نيفا Neva (وهو نهر ينبع من بحيرة لادوغا ويتجه نحو مدينة سانت بطرسبرغ الروسية ومنها نحو خليج فلندة)[97]فيمر الى البلطيق والسويد .

وما يميز هذه الطرق أنها استعملت الأنهار الصالحة للملاحة وسيلة للنقل ، وتمر بمدينتي كييف ونوفجورود الروسيتين .

الطريق الثالث : وهو طريق القوافل النشطة الشرقية القادمة من الصين والهند وخوارزم الى اسفل حوض نهر جيحون ، ومنه الى بحر آرال (هو بحر داخلي يقع في آسيا الوسطى بين كازاخستان شمالا وأوزبكستان جنوبا، عرفه جغرافيو العرب ببحر خوارزم) مرورا بشمالي بحر قزوين (الخزر) الى الفولغا السفلى الى البحر الاسود[98]، وكان هذا الطريق غالبا ما يسلكه التجار المسلمون القادمون من الشرق الاسلامي .

استمرت مملكة الخزر قوية ولم يتبدل حالها الى القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد عندما بدأت تتعرض لهجمات الروس ، الذين كانوا اقوياء كفاية ليحتلوا اطراف مملكة الخزر الشمالية ، فتعرضوا لها سنة 358هـ/ 969م واحتلوا بعض مدنها ، وخربوا البعض الآخر[99]، ويشير ابن حوقل[100]الى معارك كانت دائرة بينهم وبين الروس في تلك الفترة .

فبسبب حروب الروس المستمرة على الخزر وظهور التتر على مسرح الأحداث السياسية في الشرق ومنطقة القوقاز آنذاك ، زال حكم الخزر واندثر ذكرهم أوائل القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد .[101]

ج ـ أحوال المسلمين في مملكة الخزر في كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين:

ونحن نتحدث عن أحوال المسلمين وتعامل خواص الملك معهم في أقاليم مملكة الخزر ، لا نقصد بهم ذلك العنصر العربي المسلم الذي كان يعمل في التجارة فيطأ بأقدامه أرجاء المعمورة سائحاً بقصد الاتجار وجني الأرباح ، بل المسلمين من كان خزريا أو غيرهم من الأقوام والقبائل الذين خضعوا لسلطان ملك الخزر فصاروا جزءً من المجتمع الخزري ، لذلك صار واجبا ، قبل ان نتعرض لأحوال هؤلاء المسلمين ، ان نقتفي أثر الإسلام وصلاته مع مملكة الخزر ، وكيف دخل بلاد القوقاز وحوض نهر الفولغا ، ملتزمين بمنهجنا الذي اتبعناه من قبل ، أي ان جل اعتمادنا في هذا على ما جاءت به مصادرنا العربية من كتب الجغرافية والرحلة .

ومن منطلقنا هذا سنأتي على دراسة صلة السلطة الخزرية مع الإسلام والمسلمين ، وسبل انتشار الدين الحنيف في أرجاء بلادها ، لهذا سوف يكون عنوان الفقرة التالية الآتي :

ـ مملكة الخزر وصلاتها مع المسلمين :

كانت أولى صلات الخزر مع الإسلام إبان حروب الفتح الإسلامي ، تحديدا عصر الخلافة الراشدة (11-40هـ/632-660م) ، إذ أدرك المسلمون أهمية إيصال رسالتهم إلى أقاليم العالم ، ومنها أقاليم شرق أوربا ، فتوجهوا بعد أن فتحوا بلاد فارس نحو بلاد الجزيرة وأرمينية وعموم بلاد القوقاز ، فاصطدموا بمملكة الخزر اليهودية[102]، التي حاولت الحد من نشر الإسلام تحثهم بيزنطة على ذلك ، لان وقوف الخزر بوجه المد الإسلامي يعني كثيراً بالنسبة لبيزنطة التي كانت تعاني المخاطر من الجانب العربي ، ولعل حرب الخزر مع المسلمين قد يعرقل طموح الأخيرين (المسلمين) في محاصرة بيزنطة .

على أية حال ، وجد العرب المسلمون بعد مدينة باب الأبواب (دربند) سنة 23هـ / 643م أنفسهم أمام قوة فتية تعرقل مطامحهم في الوصول إلى شرق أوربا ، فضلا عن طبيعة البلاد الوعرة ، مع ذلك تمكن المسلمون من السيطرة على مدينة بلنجر في الجانب الأوربي من القوقاز ، فجعلوها قاعدة انطلاقهم نحو الشمال ، بعد ذلك ازدادت رغبتهم بالولوج الى ما بعد بلنجر ، فعبروها (أي بلنجر) باتجاه قاعدة مملكة الخزر ، آتل ، فساروا عابرين بلنجر نحو البيضاء ، وعلى مخارج المدينة خلف نهر بلنجر دارت رحى معركة طاحنة بين العرب والخزر سنة 32هـ/652م ، استعمل فيها الطرفان المجانيق ، وأسفرت عن هزيمة المسلمين واستشهاد قائد الحملة سلمان بن ربيعة الباهلي[103] مع أربعة آلاف مقاتل من المسلمين .[104]

ولما بلغ الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (23-36هـ/643-656) خبر مقتل سلمان ، ولّى أرمينية حذيفة بن اليمان العبسي[105]، ومال بعدها العرب المسلمين عن جهة الخزر ، وانشغلوا بحرب بيزنطة حتى العصر الأموي (41-132هـ/661-749م) فولّى محمد بن مروان أرمينية لشقيقه عبد الملك (65-86هـ/684-705م) ، فظفر بهم وقتل وغلب على البلاد ، وفتح الفتوح في بلاد الخزر .[106]

ولما وليَ يزيد بن عبد الملك الخلافة (101-105هـ/719-723م) ، قاد الفتح في بلاد الخزر الجراح بن عبد الله الحكمي[107]، فعبر الكر وسار حتى قطع النهر المعروف بالسمور وغزا الخزر ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولما علم خاقان

الخزر ، سار بجنده فاجتاح الكرج (جورجيا) وارمينية وهزم الجراح في اردبيل ، على بعد اربعة فراسخ (حوالي 18كم) من أرمينية أواخر سنة 112هـ/730م واستشهد الجراح ومن معه فسُميَّ النهر الذي دارت قربه المعركة بنهر الجراح والجسر الذي عليه سُمَّيَ أيضاً جسر الجراح .[108]

وفي عهد هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-742م) ولـيَّ مسلمة بن عبد الملك أرمينية بعد استشهاد الجراح ، فواقع الخزر ودخل باب الابواب ، واسكن فيها من المسلمين الشاميين أربعة وعشرين ألف نسمة ، يقول ابو حامد الغرناطي[109]: إن في باب الأبواب مسلمين ، أسلموا زمن مسلمة بن عبد الملك ، وأسلمت على يده أمم كثيرة .

وبعد باب الأبواب دخل مسلمة داغستان ، فخضع لحكمه حكام تلك المناطق وسكانها من أهل البلاد ، وبعد مسلمة استمر حال الطرفين (المسلمون والخزر) كر وفر حتى ولَّيَ مروان بن محمد الخلافة (127-132هـ/744-749م) فغزا البلاد ، وتمكن المسلمون من هزيمة الخزر وتكبيدهم خسائر جسيمة في أذربيجان والأجزاء الجنوبية الشرقية من داغستان[110]، يقول قدامة بن جعفر[111]: ((ولما بلغ عظيم الخزر كثرة من وطئ به مروان بلاده من الرجال وما هم عليه من النجدة والبأس نخب ذلك قلبه ، وملأه رعبا فلما دنا منه مروان أرسل إليه رسولا يدعوه الى الإسلام أو الحرب فقبل الإسلام)) ، وقبوله الإسلام كان صورياً كي يأمن جانب المسلمين ويتفادى الهزيمة التي قد تحدق به .

وعلى الرغم من ذلك وكثرة غزوات العرب في أرجاء الخزر ، ظل حكمهم على بعض أجزائها اسميا فقط ، إذ سرعان ما استعادت الخزر نفوذها السابق في جنوب القوقاز لاسيما في الفترة التي عصفت بالحكم الأموي وأنهته ، وأعلنت عن قيام الدولة العباسية (132-656هـ/749-1258م) وعلو شأنها ، فبدت هذه الدولة قوية في عصرها الأول ، واتسعت رقعة نفوذها لتصل إلى أطراف مملكة الخزر ، فاستمر الإسلام قويا في الجزء الجنوبي من قوقاز الخزر ، فضلا عن جورجيا والأرمن وداغستان .[112]

واستمر تواجد العرب المسلمين حتى عصر ضعف الخلافة العباسية ، وظهور سلاجقة الروم الأتراك كقوة بديلة في آسيا الوسطى ، ففي القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد أصبحت بلاد الخزر منهكة من جراء هجمات الروس المستمرة عليها منذ القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد ، مجتزئة مدنها واحدة تلو الأخرى ، فكانت، مع هجمات التتار على أقاليمها الشرقية والجنوبية، سببا مباشراً لاندثارها نهائيا بعدا القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد .

وكل ما يهم مما قدمناه من هذه الصفحة العسكرية التي ربطت الخزر مع العرب المسلمين ، أنها كانت ذات أثر لا يمكن تجاهله في نشر الإسلام وحضارة العرب في ربوع شرق أوربا التي ما زالت إلى اليوم تنعم بدين الإسلام في حدود انتشاره في تلك المناطق .

كما تسربل الإسلام وحضارته العربية إلى مناطق القوقاز وحوض الفولغا بفضل عامل التجارة ، فعندما جاب تجار ديار الإسلام البلاد الأوربية ، نقلوا معهم ثقافتهم الدينية وحضارتهم الراقية إلى تلك الشعوب ، التي سبق وأن أشرنا لها أنها كانت تعيش على أطراف العالم المتمدن آنذاك ، فانبهرت بما رأت وسمعت فدفعها هذا لان تعتنق الإسلام محاولةً التقرب من حضارته العربية .[113]

حدث هذا بوضوح في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد على إثر تغيير خطوط النقل نحو القوقاز ، لاسيما بعدما ظهور الايطال والنورمان على خطوط الملاحة التجارية في حوض البحر المتوسط بوصفهم منافسين أقوياء[114]، وبحلول القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد أصبح التاجر العربي الغني هو ممثل الحضارة العربية الإسلامية ، وأصبحت التجارة مظهراً من مظاهر أبهة الإسلام ، وصارت هي السيدة في بلادها ، وكانت قوافل المسلمين وسفنهم تجوب كل البحار والبلاد ، وأخذ التجار المسلمون المكان الأول في التجارة العالمية ، وكانت بغداد والإسكندرية هما اللتان تقرران الأسعار العالمية في الوقت ذاته .

لذلك فان أكبر انجازات العرب التجارية في هذا القرن هو فتح الطريق التجاري إلى بلاد الروس في الشمال ، وبداياتها كانت قبل هذا التاريخ بمدة ، إذ يصف ابن خرداذبة[115] مسلك تجار الروس الى بلاد الإسلام قائلاً : ((فأما مسلك تجار الروس وهم جنس من الصقالبة ، فانهم يحملون جلود الخز والثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية إلى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم ، وان ساروا في تنيس نهر الصقالبة مروا بخمليخ مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ، ثم يصيرون الى بحر جرجان فيخرجون في أي سواحله احبوا ... وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الإبل الى بغداد)) .

كما ساعد على نمو أثر التجار المسلمين في بلاد القوقاز وحوض الفولغا حدوث ذلك الاتصال السياسي بين الخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م) وملك البلغار ألمش بن يلطوار سنة 309هـ/921م ومن نتائجها كانت رحلة ابن فضلان ، وإعلان ملك البلغار إسلامه وإسلام أهل بلاده[116]، فسهل على المسلمين الوافدين إطلاق دعوات الإسلام بين قبائل حوض الفولغا الوثنية ، واستمالتهم لقبول الإسلام دين تعبد بدل ما كانوا يعبدون ، فنجحوا ودخلت عدة قبائل دين التوحيد ، ومنها كانت قبائل الخزر المختلفة .

هذه كانت صور انتشار الإسلام بين قبائل الترك المنتشرة في عموم آسيا الصغرى ، والمفازة بين التتار وخوارزم وصولا إلى نهر الخزر ، وبلاد القوقاز وحوض الفولغا حتى منطقة البلطيق .

ـ أحوال المسلمين في مملكة الخزر :

بما ان ملك الخزر كان يهوديا ، فقد يتصور البعض ان علاقاته مع رعاياه من المسلمين تسودها روح الكراهية والحقد الديني ، أو على أقل تقدير أولئك المقيمين أو التجار الوافدين من البلاد الإسلامية ، لاسيما ان بدايات صلات الخزر مع المسلمين العرب ، كما عرضناه ، كانت تحكمها ظروف الحرب والفتوح ورغبة المسلمين في نشر دينهم الحنيف في أرجاء المعمورة .

أو يظن البعض ان ما لاقاه نبي الإسلام (ﷺ) من اليهود في فجر الدعوة الحقة من حقد وكراهية وعداوة وبغضاء ومحاولة لطمس دعواه في التوحيد ، ثم رده الحازم ومحاربته لهم ، قد تلقي بظلالها على تصرف مملكة الخزر وتعده عداءً تاريخيا ، فتحكم العلاقة بين الدولة ورعاياها من المسلمين أو بينها وبين المقيمين التجار الوافدين من ديار الإسلام .

لكن ما حدث في حقيقة الأمر يجافي تلك التوقعات ، فللمسلمين ثقلهم الاجتماعي ، فضلا عن ثقلهم الاقتصادي كونهم تجاراً في الأسواق أو وسطاء للتجار المسلمين ، والنصوص على قلتها (نريد من ذلك نوعها) في المصادر الجغرافية وأدب الرحلات تشير بوضوح إلى أن غالبية السكان كانوا على غير دين الملك ، فالقاعدة آتل يقطنها مسلمون ونصارى وعبدة أوثان وأقل الفرق فيها هم اليهود ، وغالبية من فيها من المسلمين، يقول المسعودي[117]: ((والغالب في هذا البلد المسلمون)) ، بل ان عدد المسلمين يصل الى أكثر من عشرة آلاف نفر وفيها من المساجد غير المسجد الجامع ثلاثين[118]، ولهم بحسب ابن رسته مساجدهم وأئمتهم ومؤذنيهم وكتاتيبهم[119]، وفي مسجدهم الجامع يؤدون الصلاة ويقيمون فريضة الجمعة .[120]

وثقلهم في مملكة الخزر تخطى هذا الحد ، فواقعا كان يفوق غيرهم من أصحاب الفرق الأخرى ، فمنهم خاصة قوات الملك التي تعرف باللارسية ، وهؤلاء من أتراك خوارزم ، قال المسعودي[121]في اللارسية : ((وهم ناقلة من نحو خوارزم ، وكان في قديم الزمان بعد ظهور الإسلام وقع في بلادهم جدب ووباء ، فانتقلوا إلى ملك الخزر ، وهم ذوو بأس وشدة ، وعليهم يعول ملك الخزر في حروبه))، وأقاموا في بلده على شروط بينهم اشترطوها كي يبقوا في خدمته هي : ((إحداها إظهار الدين والمساجد والأذان ، وثانيها ان تكون وزارة الملك فيهم ، والوزير في وقتنا هذا منهم ، هو أحمد بن كويه[122]، وثالثها انه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا في عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ، ويحاربون جهل ملتهم ، ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ، ويركب منهم مع الملك في هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن[123]، والدروع والخوذ ومنهم رامحة أيضا على حسب ما في المسلمين من آلات السلاح))[124].

كما ان للمسلمين النظر في شؤونهم ، فلهم قاض من ملتهم يتولى أمرهم فمرجعهم في مقتضى أمرهم وحوائجهم إليه ، وهو من غلمان الملك يقال له خز ، أحكام المسلمين والمقيمين والملتحقين اليهم في التجارات مردودة إليه ، لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره .[125]

وتواجد المسلمين ليس في قاعدة البلاد (آتل) وحدها ، وإنما توزعوا في كبريات مدن الخزر ، شكلوا الغالبية فيها ، ففي سمندر مسلمون ، ولهم مساجد عامرة ، وهم أهل زرع وضرع ، وأكثر ما ينتجون في جنانهم الكرم ، وهو على نحو أربعة آلاف نوع[126]، وسمندر على بحر الخزر ذات نعم وأسواق وتجار .[127]

وباب الأبواب (دربند) فرضة البحر وباب تجارة الشرق مع الغرب ، أهلها مسلمون وفي سوقها الرئيس مسجد جامع[128]، وكذا سقسين وهي مدينة آهلة عظيمة ذات أشجار وأنهار وخيرات كثيرة ، أهلها مسلمون وأكثرهم على مذهب الإمام أبي حنيفة (ت150هـ/767م) ، ومنهم من هو على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعي (ت204هـ/819م) ، وفيها جامع لكل قوم يصلون فيه ، وفي يوم العيد تخرج منابر ، لكل قوم منبر يخطبون عليه ويصلون مع إمامهم .[129]

ومن فرض الخزر أيضا مدينة يقال لها برطاس أهلها كلهم مسلمون وفيها مسجد جامع وبالقرب منها مدينة تسمى سوار وفيها أيضا مسجد جامع ومقدار من فيها من الناس نحو عشرة آلاف شخص .[130]

ومن علو شأن المسلمين وسمو مكانتهم في مملكة الخزر ان نظر أرباب السياسة في تولية الخاقانية لشاب خزري مسلم يعمل في السوق بائعا للخبز لما رأوا منه الفطنة والأمانة ، لكنهم تراجعوا لدينه الذي هو عليه ، لأن الخاقانية لا تكون إلا ليهودي .[131]

أمتهن الخزريون المسلمون الزراعة ، فكانوا يخرجون صيفا عن آتل على نحو عشرين فرسخا (أي ما يعادل 90كم) مع سائر الناس من مواطنيهم فيزرعون الزروع على ضفة نهر آتل (الفولغا) أو في الصحارى القريبة ، ولمّا ينضج الزرع يحصدوه وينقلوه الى بلدانهم بالعَجَل أو في النهر[132]، وفي سمندر زروع وبساتين وأهلها مشتغلون فيها ، وكذا سقسين وسائر البلدان ، ألا أن عملهم يتركز صيفا ، لأن شتاءهم قارص شديد البرد[133]، حتى ان أبا حامد الغرناطي[134]يروي ان ابنا له توفي شتاءً وهو في سقسين فلم يقدر على دفنه إلا بعد ثلاثة أشهر ، ومن جراء البرد والصقيع تصبح أرضهم كالحديد .

وفيهم ، أي المسلمون الخزر ، من يعمل في السوق بين عامل في صنعة أو تاجر أو وكيل لتاجر ، وأكثرهم يعمل في الأسواق لأن معظم من يقدمهم للتجارة من دار الإسلام ، خاصة أولئك القادمون من جهة الشرق عبر بحر الخزر ، يقول الاصطخري[135]: ((ويركب فيه [يريد بحر الخزر] التجار من أراضي المسلمين إلى أرض الخزر)) ، فيعملون وسطاء بينهم وبين تجار بلاد الأمم الأخرى ، لمعرفتهم بلغتهم وطبائعهم .

أما معاشهم وحياتهم اليومية ، فالواضح من النصوص المتوافرة يجعلنا نقول ان واقع البلاد وطبيعتها قد فرضت عليهم نمطا حياتيا قاسيا ، فالمناخ البارد وصعوبة التضاريس حدد نشاطهم وأرزاقهم ، فالغالب على قوتهم الرز والسمك ، وما يصل من عسل وخضر وثمر ، فما جلبه التجار الروس والبلغار إليهم[136]، ولبسهم القراقط ، وهو القباء فوق الطاق الواحد ، وكلهم يلبسون القلانس .[137]

وأبنيتهم خركاهات لبود وهي قباب ، وجلهم يبنون بالتراب والطين[138]، وفرض رسوم الملك عليهم مثل غيرهم من الخزريين ، ففي الزرع والاتجار ، العشور ، أما المقيمين والوافدين من التجار المسلمين من جالية دار الإسلام فلم يكن للأوضاع السياسية أثر عليهم ، فقوافلهم صادرة وواردة الى اقاليم البلاد كافة وليس عليهم إلا أداء العشور .

وربما ما ساعد على الترحيب بهم وحمايتهم وقوافلهم في أرجاء المملكة هو اعتماد خزانة ملك الخزر على أعشار التجارة بدرجة رئيسة ، يقول الاصطخري[139]: ((وأحوال هذا الملك من الارصاد وعشور التجارات على رسوم لهم من كل طريق وبحر ونهر)) ، لذلك فان جميع التجار المسلمين الوافدين مرحب بهم في البلاد الخزرية .

بقيَ ان نشير الى طريقة تعامل ملك الخزر مع الممالك المسلمة الخاضعة له في منطقة حوض الفولغا والقوقاز المحاذية لبلاده ، مثل البلغار ، فتعامله كان تعامل المتغلب ، كما يفعل دائما مع من يخضع لسلطان مملكته أياً كان دينه ، ونُفيدُ من نصٍ لأبن فضلان ، سبق ذكره ، ان مقدار ما كان يفرضه هذا الملك على من يقع تحت حكمه ، والنص يخص ملك البلغار الذين يسميهم ابن

فضلان الصقالبة البلغار جاء فيه: ((وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤديها الى ملك الخزر من كل بيت في مملكته جلد سمور))[140]، وسبق أن قلنا ان شعوب القوقاز كانت تتعامل بالجلد على أساس انه نقد وكانوا يسمونه الدلق ، وقال ابن فضلان[141]أيضاً : ((وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر)) وقال : ((ورسم ملك الخزر ابن يكون له خمس وعشرون امرأة ، كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه ، يأخذها طوعا أو كرها))[142]، والغرض من فعلته هذه هو ضمان انصياع الملوك الخاضعين له .

أخيرا مفاد القول إذاً ان مسلمي الخزر المواطنين من رعايا من ملك الخزر كان لهم شأنهم في البلاد ، يوفق نظرائهم من أصحاب الفرق الأخرى ، والسبب بسيط لان الإسلام يضفي على معتنقه مستوى من الهيبة والثقافة والمعرفة والحضارة وتنظيم الحال تجعل الآخرين يتعاملون معه باحترام ، كما إن لمسلمي الخزر ثقلهم الاجتماعي والاقتصادي في المملكة ، تجبر الملك على النظر إليهم بوصفهم قوة فاعلة في المجتمع الخزري ، هذه من أهم ما توصل اليه البحث من نتائج .

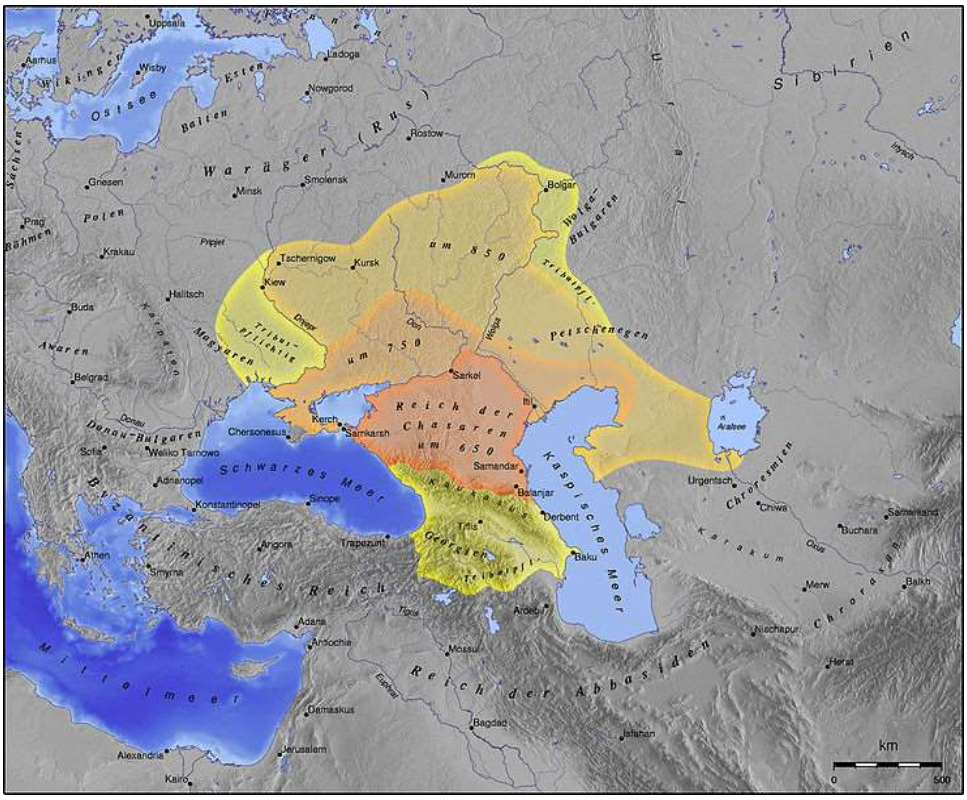

حدود مملكة مملكة الخزر وقد وصلت الى اقصى اتساع لها بحدود سنة240هـ

هوامش البحث :

1ـ انظر كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتس ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، دار الغرب الاسلامي (تونس :2008م) ص 190 .

2- م . ن ، ص 190 .

3- انظر ابو علي احمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل (ليدن :1891م) م7 ، ص290- 309 .

4- ارمينية والران واذربيجان هي في اقليم واحد يسميها المقدسي اقليم الرحاب والذي يحيط بها مما يلي الشرق الجبال والديلم وغربي بحر الخزر والذي يحيط بها مما يلي المغرب حدود الارمن واللان وشيء من حد الجزيرة والذي يحيط بها مما يلي الشمال اللان وجبال القبق والذي يحيط بها مما يلي الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة ، اما اذربيجان فاكبر مدنها اردبيل ، والران قصبتها برذعة ومن مدنها تفليس باب الابواب ملاذكرد وارمينية فقصبتها دبيل ، ومن مدنها بدليس وخلاط مراغة سنجان وغيرها ، وهذه هي أقاليم بلاد أرمينية والران واذربيجان.

للمزيد انظر الاصطخري ، ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، دار القلم (القاهرة :1961م) ص 108 ؛ المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، شرح وتعليق محمد امين الضناوي ، دار الكتب العالمية (بيروت :2003م) ، 281-285 ؛ ياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي (بيروت : 1979م) ج1 ، ص 128 .

5- انظر ابن خراذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة: د/ت) ص 123-126
6- قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر (بغداد : 1981م) ص138-193 .
7- انظر ، البلاذري ، ابو الحسن احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، نشر دار ومكتبة الهلال (بيروت:1988م) ص193-209 .
8- تاريخ الادب الجغرافي ، ص 181 .
9- ابن الفقيه ابو بكر احمد بن محمد الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، دار صادر ، طبعة مصورة عن طبعة ليدن 1885م (بيروت :د/ت) ص270-330 .
10- م . ن ، ص 190 .
11- انظر المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغمر بالماء والعمران ، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي (القاهرة :1938م) 68-71 ؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق امير مهنا ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت:2000م) ج1 ،ص184-189 ؛ التنبيه والاشراف ، دار صادر ، مصورة عن طبعة ليدن 1893م (بيروت: د/ت) ص 22- 33 ، 60 وما بعدها ، 180 وما بعدها .
12- تاريخ الادب الجغرافي ، ص 191 .
13- الصقالبة والبلغار هم قبائل الترك القاطنة حوض الفولغا قرب مملكة الخزر يحدها نهر الفولغا عن الخز . انظر ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص113-146 .
14- انظر اخبار الزمان ، 18- 69 ، 75 وما بعدها ؛ مروج الذهب ، ج1، ص284-289 ؛ التنبيه والاشراف ، 22- 33 ، 60 وما بعدها .
15- أطلق الجغرافيون العرب على نهر الفولغا اسم نهر آتل والمتتبع للبحث سيجد اشارت ذلك كثيرة عند كل الجغرافيين الواردة مصادرهم في هذا البحث .
16- الكرج قوم نصارى قال ياقوت الحموي : تقع بلادهم في جبال القبق وبلد السرير وهي مما يلي خيزان وباب القبق جنوبها تقع اذربيجان وارمينية . انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص446 .
17- البنجاك قبيلة من الترك من قبائل الغز من القفجق ومساكنهم في الاورال والفولغا بجوار الخزر يقول شيخ الربوة الدمشقي : فمساكنهم في جبال وغياض من وراء دربند شروان مما يلي بحر الروس ولهم عليها مدينة اسمها سرداق . انظر شمس الدين ابو عبد الله طالب الانصاري ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار احياء التراث العربي (بيروت:1998م) ص347 .
18- انظر ابن فضلان ، احمد بن فضلان بن العباس ، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس الصقالبة ، تحقيق سامي الدهان ، دار صادر (بيروت :1993م) ص 70 – 172 .
19- احمد بن سهل البلخي : ابو زيد احد الكبار الافذاذ من علماء الاسلام جمع بين الشريعة والفلسفة والادب والفنون ، ولد في احدى قرى بلغ سنة 235هـ ، وساح سياحة طويلة ثم عاد وعلت شهرته فعرض عليه حاكم تخوم الخزر وزارته فاباها ، له كتاب صور الاقاليم توفي سنة 322هـ . الزركلي ، خير الدين ، الاعلام قاموس تراجم ، دار العلم للملايين (بيروت:1980م)ج1،ص134 .
20- سبق وان عرفنا ارمينية والران واذربيجان ، بقي لنا اللان والسرير ، فاللان من بلاد القوقاز الى الشرق والجنوب منها بلاد السرير وغربها بلاد الروم وشمالها بحر الخز ، اما السرير فشرقيها وجنوبيها حدود ارمينية وغربيها حدود الروم وشمالها بلاد للان . انظر مجهول ، حدود العالم من المشرق الى المغرب ، تحقيق يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر (القاهرة :1999م) ص 142 .
21- انظر كلامه عن بلاد الخزر وحوض الفولغا ، الاصطخري ، المسالك والممالك ،ص 109 – 113 .
22- ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي ، صورة الارض ، دار صادر مصورة عن طبعة ليدن لسنة 1928م (بيروت : د/ت) ص 3
23- م . ن ، ص 8-15 ، ص 331- 398 .
24- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص281- 288 .
25- انظر مجهول ، حدود العالم ، ص 140- 144 .
26- تاريخ الادب الجغرافي ، ص264 .
27- انظر مثلا البيروني ، محمد بن احمد ، الاثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق برويزاد كائي (طهران : 1380هـ ش) ص 48-49 .
28- الزهري ،ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة : د/ت) ص75 وما بعدها .
29- الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، عالم الكتب (بيروت :1989م) ج2 ، ص 820-836 ، ج2ص 904-922 .
30- ابو حامد الغرناطي ، محمد بن عبد الرحيم الاندلسي ، تحفة الالباب ونخبة الاعجاب ، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة :2003م) ص 37-82 .
31- تاريخ الادب الجغرافي ، ص 326 .
32- المروزي ، شرف الدين طاهر المروزي ، ابواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان ، نشر مينورسكي (لندن : 1942م) ص 19-26 .
33- كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، ص 359 .

34- سلام الترجمان : رسول الواثق بالله العباسي الى بلاد البلغار بقصد التعرف على ارض ياجوج وماجوج ، وعندما عاد الى بغداد اخذ يروي اخبار بلاد القوقاز ، فنقل عنه روايةً اصحاب التواريخ والجغرافية اخبار القوقاز . انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص 199 .
35- انظر الصفحات من ياقوت الحموي ، م . ن ، ج1 ، ص31 ، ص153 ،ص182،ص303-305 ،ص342-342، ص373-389 ، ج2 ، ص367-369 .
36- انظر القزويني ، زكريا بن محمد ، اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر (بيروت :1998م) ص583-588 .
37- انظر شيخ الربوة الدمشقي ، نخبة الدهر ص 32 ، ص139 ، ص197 -257 .
38- انظر ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن محمد ، تقويم البلدان ، طبع باعتناء رينود والبارون ماك كوين ، دار صادر ، طبعة مصورة عن مطبعة الدار السطانية بباريس لسنة 1840م (بيروت:د/ت) ص 43 ، ص201-221 .
39- انظر البغدادي ، عبد المؤمن بن عبد الحق ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد الجباوي ، دار الجيل (بيروت:1992م) ص 23 ، ص 220 ، ص 482 ، ص465 .
40- انظر ابن الوردي ، ابو حفص عمر بن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة:1341هـ) ص 8 ، ص 33 ، ص62-66 ، ص99-100 .
41- انظر ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، اشرف على تحقيق الموسوعة كامل سلمان الجبوري ، تحقيق الجزء 2 مهدي النجم ، دار الكتب العلمية (بيروت :2010م) ج2 ، ص 131-132 .
42- مختصر البلدان ، 6 .
43- الاعلاق النفيسة ، م7،ص 98 ؛ احسن التقاسيم ، 77 ؛ نخبة الدهر ، ص 32 .
44- نخبة الدهر ، 32 .
45- نقصد بهذا ان الجغرافيين الذين جاءوا بعد الرابع للهجرة قد اعتمدوا في وصفهم لبلاد الخزر ، لاسيما المناطق التي خرجت من سلطانهم ، على من سبقهم منجغرافيين ورحالة ، فمثلا معظم ما يثبته ياقوت الحموي عن الخزر والبلغار انما يعتمد فيع على ابن فضلان . انظر على سبيل المثال لا الحصر . معجم البلدان ، ج2 ، ص367 .
46- انظر ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 392 .
47- المسالك والممالك ، ص 19 .
48- انظر ابن حوقل ، صورة الارض ، 386 ؛ ابو حامد الغرناطي ، تحفة الالباب ، ص 65 .
49- مجهول ، 143 .
50- الروض المعطار ، ص 219 .
51- انظر ايضا دان لوب . د . م ، تاريخ يهود الخزر ، ترجمة سهيل زكار ، دار حسان (دمشق:1990م) ص11 ؛ الداقوقي ، حسين علي ، دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا ، دار الينابيع للنشر (عمان : 1999م) ص 74 .
52- أخبار الزمان ، ص 68 ؛ وانظر ايضا ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص367 .
53- انظر الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص129 ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، 389 ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج2 ، ص919 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص467 .
54- انظر مثلا القزويني ، اثار البلاد ، ص 584 .
55- جميع هذه القبائل التركية كانت تقطن مناطق الوقوقاز وحوض الفولغا .انظر ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص 73-146 ؛ شيخ الربوة الدمشقي ، نخبة الدهر ، ص 346 .
56- نخبة الدهر ، ص 346 .
57- انظر دان لوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص 45 وما بعدها ؛ الداقوقي ، دولة البلغار ، ص 60-61 .
58- المسالك والممالك ، ص 131 .
59- الحميري ، الروض المعطار ، 219 .
60- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص 368 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، 219 .
61- المسعودي ، مروج الذهب ، ج1 ،ص187؛ شيخ الربوة الدمشقي ، نخبة الدهر ، ص 346 .
62- انظر البيروني ، الاثار الباقية ، ص 116
63- ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، 169-172 ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، م7،ص139 ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، 131 ؛ المروزي ، ابواب في الصين ، 21 ؛ القزويني ، آثار البلاد ؛ ص585 .
64- ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص169-172 .
65- الاصطخري ، المسالك والممالك ، 131 .
66- انظر ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص170 ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 131 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص368 .
67- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 390-391 .
68- انظر ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص113 - 171 ؛ شيخ الربوة الدمشقي ، آثار البلاد ، ص 138 .
69- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص131 .
70- ابو حامد الغرناطي ، تحفة الالباب ، ص43 .
71- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص88 ؛ الداقوقي ، دولة البلغار ، ص 107 .

72- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 131 .
73- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 131 ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، 394 .
74- القزويني ، آثار البلاد ، ص 584 .
75- المسالك والممالك ، 129 .
76- انظر على سبيل المثال القزويني ، آثار البلاد ، ص 599 .
77- الاعلاق النفيسة ، م7،ص141 .
78- ابن فضلان ، ص145 .
79- مجهول ، حدود العالم ، ص 143 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص367-368 ؛ البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص 465 ؛ ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص 65 .
80- الاعلاق النفيسة ، م7، ص 139-140 .
81- ابواب في الصين ، ص 21 .
82- المسالك والممالك ، ص 126 .
83- انظر ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص136 ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، م7، ص 141 ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 127 ، ص131 ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 388 .
84- ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص 287-289 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص253 ؛ ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص 65 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 324 .
85- ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ،م7، ص 414 ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 127 ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، 388 .
86- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 489 ؛ ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص29 .
87- ابو حامد الغرناطي ، تحفة الالباب ، 80-81 ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص 599 ؛ ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص 252-253 .
88- اثار البلاد ، ص ص 599 .
89- المن البغدادي يساوي رطلين والرطل يساوي 406،25 غم أي انه يساوي 812،50 غم . انظر هنتس ، فالتر ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ،منشورات الجامعة الاردنية (عمان:1970م) ص46 .
90- الدانق جزء من الدرهم وكل 6 دوانق تساوي درهم .
91- القزويني ، آثار البلاد ، ص 599 .
92- المسالك والممالك ، ص 124 .
93- مجهول ، ص 143 .
94- معجم البلدان ، ج2 ، ص389 .
95- نخبة الدهر ، 346 .
96- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص110 ؛ الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج2 ، 822 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص303 ؛ ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص 62 .
97- للتعرف على مواقع الانهار والمناطق المذكرة راجعنا الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على الشبكة الدولية . انظر موقع الموسوعةhhttp://ar.wikipedia.org/wiki
98- أنظر الداقوقي ، دولة البلغار ، ص 106 .
99- انظر دان لوب ، تاريخ يهود الخزر ، ص 338-340 .
100- صورة الارض ، 392 .
101- انظر دان لوب ، تاريخ يهود الخزر ، 338 وما بعدها .
102- اشرنا سابقا القول المسعودي الذي ذكر فيه ان ملك الخزر قد تهود ايام هارون الرشيد . انظر مروج الذهب ، ج1 ، ص187
103- سلمان بن ربيعة الباهلي المضري صحابي ، ولي القضاء في الكوفة للخليفة عمر بن الخطاب ، وقاد الفتوح في بلنجر زمن الخليفة عثمان واستشهد فيها سنة 32 وقيل سنة 30 هـ . الزركلي ، الاعلام ، ج3 ، ص111 .
104- قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص329 .
105- حذيفة بن اليمان صحابي شهد احد والخندق ، ولاه الخليفة عمر المدائن وقاد الفتوح في بلاد فارس ، وولي أرمينية في عهد الخليفة عثمان ، توفي بعد مقتل عثمان سنة 36هـ . انظر ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي(ت852هـ) ، الاصابة في تمييز الصحابة ، دراسة وتحقيق عادل احمد والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب اللبنانية (بيروت:1995م) ج2 ، ص40 .
106- ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص294 ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص 330 .
107- الجراح بن عبد الله الحكمي ابو عقبة امير خراسان وأحد الاشراف الشجعان ، دمشقي الاصل والمولد ولي البصرة للحجاج ، ثم خرسان ثم سجستان لعمر بن عبد العزيز ، ولاه يزيد ارمينية واذربيجان ، واقره هشام بن عبد الملك ثم عزله سنة 108هـ ثم اعاده سنة 111هـ عليها وقاد الفتح فاستشهد في اردبيل . انظر الزركلي ، الاعلام ، ج2 ، 115 .
108- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 204 ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص 330 .
109- تحفة الالباب ، ص 63 .
110- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 205 -206 ؛ قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص 331-332 .
111- قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص 332 .

112- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 207-209 .
113- انظر وصف ابن فضلان ، رسالة ابن فضلان ، ص 113-172 ؛ وابو حامد الغرناطي ، تحفة الالباب ، ص 65-80 .
114- واط ، و. مونتكمري ، تأثير الاسلام على اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبو ، طبع مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر جامعة الموصل (الموصل:1982م) 32-33 .
115- المسالك والممالك ، ص 154 .
116- انظر ابن فضلان ، ص 113-146 .
117- مروج الذهب ، ج1 ، ص188 .
118- انظر الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 131 .
119- الاعلاق النفيسة ، م7، ص 140 .
120- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص369 .
121- مروج الذهب ، ج1 ، ص188 .
122- لم نجد له تعريف بحدود معظم كتب التراجم والسير التي رجعنا إليها .
123- الجوشن نوع من الدروع ، وهو الحديد الذي يلبس من السلاح . انظر الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت175هـ) ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت:1988م) ج6 ، ص37 (مادة جشن)
124- م . ن ، ج1 ، ص 188 .
125- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 369 .
126- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 130 .
127- مجهول ، حدود العالم ، ص 143 .
128- لسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد ، مطبعة الرابطة (بغداد:1954م) ص215
129- القزويني ، آثار البلاد ، ص 599 .
130- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص384 .
131- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 131 ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، 396 .
132- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 129-130 .
133- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 130 ؛ ابو حامد الغرناطي ، تحفة الالباب ، ص 81 .
134- تحفة الالباب ، ص 81 .
135 - الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 128 .
136- م . ن ، ص130 .
137- الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 132 ؛ الداقوقي ، دولة البلغار ، ص 35 .
138- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج2 ، ص 832 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 11 .
139- المسالك والممالك ، ص 129 .
140- رسالة ابن فضلان ، ص 145 .
141- م . ن ، ص 145 .
142 - م . ن ، ص 171 .

قائمة المصادر والمراجع :

1- الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، عالم الكتب (بيروت :1989م).
2- البغدادي ، عبد المؤمن بن عبد الحق ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد الجباوي ، دار الجيل (بيروت:1992م) .
3- البلاذري ،ابو الحسن احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، نشر دار ومكتبة الهلال(بيروت:1988م) .
4- البيروني ، محمد بن احمد ، الاثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق برويزاد كائي (طهران : 1380هـ ش) .
5- ابو حامد الغرناطي ، محمد بن عبد الرحيم الاندلسي ، تحفة الالباب ونخبة الاعجاب ، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة :2003م).
6- ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي(ت852هـ) ، الاصابة في تمييز الصحابة ، دراسة وتحقيق عادل احمد والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب اللبنانية (بيروت:1995م) .
7- ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي ، صورة الارض ، دار صادر مصورة عن طبعة ليدن لسنة 1928م (بيروت : د/ت) .
8- ابن خرادبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة: د/ت) .
9- الداقوقي ، حسين علي ، دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا ، دار الينابيع للنشر (عمان : 1999م) .
10- دان لوب . د . م ، تاريخ يهود الخزر ، ترجمة سهيل زكار ، دار حسان (دمشق:1990م) .
11- ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل (ليدن :1891م) .
12- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام قاموس تراجم ، دار العلم للملايين (بيروت:1980م) .

13- الزهري ،ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة : د/ت) .
14- شيخ الربوة الدمشقي ، شمس الدين ابو عبد الله طالب الانصاري ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار احياء التراث العربي (بيروت:1998م) .
15- ابن فضلان ، احمد بن فضلان بن العباس ، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس الصقالبة ، تحقيق سامي الدهان ، دار صادر (بيروت :1993م) .
16- ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن محمد ، تقويم البلدان ، طبع باعتناء رينود والبارون ماك كوين ، دار صادر ،طبعة مصورة عن مطبعة الدار السطانية بباريس لسنة 1840م(بيروت:د/ت) .
17- الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت175هـ) ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت:1988م) .
18- ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، دار صادر ، طبعة مصورة عن طبعة ليدن 1885م (بيروت :د/ت) .
19- ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، اشرف على تحقيق الموسوعة كامل سلمان الجبوري ، تحقيق الجزء 2 مهدي النجم ، دار الكتب العلمية (بيروت :2010م) .
20- قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر (بغداد : 1981م) .
21- القزويني ، زكريا بن محمد ، اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر (بيروت :1998م) .
22- كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتس ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، دار الغرب الاسلامي (تونس :2008م) .
23- لسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد ، مطبعة الرابطة (بغداد:1954م) .
24- مجهول ، حدود العالم من المشرق الى المغرب ، تحقيق يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر (القاهرة :1999م) .
25- المروزي ، شرف الدين طاهر المروزي ، ابواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان ، نشر مينورسكي (لندن : 1942م).
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي :
26- اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغمر بالماء والعمران ، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي (القاهرة :1938م)
27- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق امير مهنا ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت:2000م) .
28- التنبيه والاشراف ، دار صادر ، مصورة عن طبعة ليدن 1893م (بيروت: د/ت) .
29- المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، شرح وتعليق محمد امين الضناوي ، دار الكتب العالمية (بيروت :2003م) .
30- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على الشبكة الدولية . انظر موقع الموسوعةhhttp://ar.wikipedia.org/wiki .
31- هنتس ، فالتر ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ،منشورات الجامعة الاردنية (عمان:1970م) .
32- واط ، و. مونتكمري ، تأثير الاسلام على اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبو ، طبع مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر جامعة الموصل (الموصل:1982م) .
33- ابن الوردي ، ابو حفص عمر بن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة:1341هـ) .
34- ياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي (بيروت : 1979م) .